

(١)

### ماذا بعد الحج؟

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

### وبعد :

فإن المتأمل والمتدبر لسنة الله (عز وجل) في خلقه يرى سرعة انقضاء الأيام والشهور والأعوام ، أيام تمرُّ وأعوام تكررُ ، وما الحياة الدنيا إلا أنفاس معدودة ، وآجال محدودة ، وفي ذلك عبر لمن نظر وتفكر واعتبر ، يقول سبحانه: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} .

وإذا كان الحج المبرور يمحو الله تعالى به الذنوب ، فيعود الحاج كيوم ولدته أمه ، حيث يقول النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) فإن على العاقل أن يغتنم فضل الله عليه فيقلع عن سائر المعاصي ، ويقبل على الله بقلب صاف وإخلاص كبير .

وينبغي للحاج أن يستشعر نعمة الله (عز وجل) عليه إذ وفقه لأداء هذه العبادة ، ويعلم أن ذلك يستوجب شكر المنعم (سبحانه وتعالى) **بالمداومة على العمل الصالح** ، فالطاعات ليس لها زمن معين ، ولا مكان معين ، بل إنها مستمرة دائمة بدوام حياة الإنسان وتحقق شروط تكليفه بها ، وهذا ما كان يفعله النبي الكريم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فالمداومة على الطاعات والعبادات هو امتثال لقول الله تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} ، وامتثال لقوله تعالى: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ \* وَإِلَىٰ رَبِّكَ

(٢)

فَارْغَبْ { أي: إذا انتهيت من عبادة وطاعة، فانشغل بطاعة وعبادة أخرى قاصداً بها وجه الله عز وجل .

والمداومة على العمل الصالح من أحب الأعمال إلى الله (عز وجل) ودليل على حسن الخاتمة ، فعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أَنَّهَا قَالَتْ : سُئِلَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ : (أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ) ، فهنيئاً لمن وفقه الله لطاعته ، وأحسن عمله ، وحسن خلقه ، وسعى في قضاء حوائج الناس ، وفرج عنهم كربهم ، ونشر الخير في مجتمعه ووطنه.

وإذا كان المؤمن قد وفقه الله تعالى لأداء فريضة الحج ، فليس ذلك نهاية الطاعات ، بل إن لديه الكثير من الأعمال الصالحة التي يتقرب بها إلى الله (عز وجل) ، كالإكثار من العبادات والنوافل ؛ من صلاة ، وصيام ، وسعي في مصالح العباد والبلاد ، وكفالة الأيتام ، وعبادة المرضى ، وغير ذلك مما يرفع قدره ، ويعلي منزلته عند الله تعالى ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : (... وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ) .

كما ينبغي للحاج أن يظهر أثر حجه في حسن خلقه وسماحته في معاملاته ، وهذا من علامات قبول الحج ، فيخالق الناس بخلق حسن ، ويعاملهم معاملة صالحة ، ويتدارك ما كان منه من تقصير قبل الحج ، ويظهر ذلك في سلوكه مع أهله من أب وأم وزوج وولد ، ومن صلة للرحم ، وغير ذلك من صنوف البر مع الناس جميعاً ، قال

(٣)

تعالى : { لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ  
وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ  
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّائِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ  
صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } .

فالحج لا بد أن يترك أثراً أخلاقياً في سلوك الحاج ، فليس الحج طقوساً جوفاء  
تؤدي دون غاية أو هدف ، بل هو عبادة شرعت لترتقي بالإنسان ، وتسمو بأخلاقه ،  
قال تعالى : { الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا  
جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَرَوُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ  
يَا أُولِي الْأَلْبَابِ } ، وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : ( مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ ، فَلَمْ يَرْفُثْ ، وَلَمْ  
يَسْقُ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ) ، وقيل للحسن البصري (رحمه الله) : الحج المبرور جزاؤه  
الجنة ؟ قال : آية ذلك أن يرجع زاهداً في الدنيا ، راغباً في الآخرة ، وقيل له :  
جزاء الحج المغفرة ؟ قال : آية ذلك أن يدع سيء ما كان عليه من العمل .

فالعبرة إذا لم تؤثر في خلق الإنسان وتهذب سلوكه فلا قيمة لها في الدنيا ولا  
ثمرة لها في الآخرة ، يقول نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ؟) قَالُوا:  
الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَمْ يَرْجِعْ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ، قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) :  
(الْمُفْلِسُ مَنْ أَتَى مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا  
وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ  
حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْتَصَّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا  
أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) ، ولما سُئِلَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) :

(٤)

يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ فَلَانَةَ يُذَكَّرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا ، وَصِيَامِهَا ، وَصَدَقَتِهَا ، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا ، قَالَ : ( هِيَ فِي النَّارِ ) ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنَّ فَلَانَةَ يُذَكَّرُ مِنْ قَلَّةِ صِيَامِهَا ، وَصَدَقَتِهَا ، وَصَلَاتِهَا ، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالنَّوَارِ مِنَ الْأَقِطِ ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا ، قَالَ : ( هِيَ فِي الْجَنَّةِ ) .

ومن الأمور التي يجب أن يحرص عليها العبد **حسن الخاتمة** ، وحقيقتها : أن يُوفق الله (عزّ وجلّ) العبد قبل وفاته للابتعاد عما يغضبه سبحانه وتعالى ، ويسير له سبل التوبة من الذنوب والمعاصي ، والإقبال على الطاعات وأعمال الخير ، ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة .

ولما كان الإنسان في الدنيا مرهوناً بعمله ، كان التوفيق للعمل الصالح والمداومة عليه حتى الموت علامة على حسن الخاتمة ، كما أخبرنا النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث قال : (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ) ، وفي رواية : (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ كَالْوِعَاءِ ، إِذَا طَابَ أَسْفَلُهُ طَابَ أَعْلَاهُ ، وَإِذَا فَسَدَ أَسْفَلُهُ فَسَدَ أَعْلَاهُ)؛ لذا يجب على كل إنسان أن يجتهد لتَحْسُنَ خَاتِمَتَهُ ، وأن يستعد للقاء الله (عز وجل) بالعمل الصالح ، كما وجهنا القرآن الكريم بقوله سبحانه : {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} ، فمن اتقى الله (عز وجل) وأطاع أوامره ، وانتهى بنواهيهِ ، وفقه الله تعالى للعمل الصالح ثم يقبضه عليه ، كما بين النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله : (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ) ، فقيل : كيف يستعمله يا رسول الله؟ ، قال : (يُوفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ) ، وفي رواية : (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ) ، قيل : وَمَا عَسَلَهُ ؟ ، قال : (يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ) ، فالعبرة في الأعمال بخواتيمها ، فمن وفقه الله سبحانه وتعالى للطاعة والعبادة ، وداوم على فعل الخير ختم له بحسن الخاتمة ، وكان من السعداء الفائزين بالجنة ، قال تعالى : {وَأَمَّا الَّذِينَ

(٥)

سُعدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ  
مَجْدُودٍ.

ومن الدروس المستفادة من الحج ، سواء للحاج أو لغير الحاج : التسليم المطلق  
لله (عز وجل) مع الأخذ بالأسباب ، وإيمان الإنسان بأن الأمر كله لله ، وأن ما قدره  
الله كائن لا محالة ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ  
إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا } ، ويقول سبحانه : { مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا  
وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } ، ويقول (عز وجل) : { وَإِنْ  
يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ  
وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ } ، فالتسليم المطلق لله (عز وجل) من  
دلائل الإيمان ، وثوابت الإسلام ، ولكي يتحقق ذلك فلا بد وأن يُحسِن الإنسان  
الظن بالله تعالى ، فإذا ما رضي بقدر الله وسلم الأمر لله فإنه ينعم بالرضا ويستشعر  
السكينة والأمان .

**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم**

\* \* \*

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن  
سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه  
أجمعين .

**إخوة الإسلام :**

لقد عاد الحاج من حجه بإذن ربه مغفوراً ذنبه ، مشكوراً سعيه ، مأجوراً على  
عمله ، فليحذر أشد الحذر من الانخداع بثناء الناس عليه ، فليس الحج لقباً يناله

(٦)

المرء ، ولا سببا للمفاخرة والمباهاة بين الناس ، بل ينبغي على الحاج بعد عودته أن يكون متواضعاً وجيلاً ، فالحج فريضة جليلة القدر ، عظيمة الثواب ، من أداها ، وتحمل مشقتها ، وجد لذتها في قلبه ، وانعكس أثرها في حياته تواضعا لله تعالى ، وتذللًا لعباد الله ، فلا يداخل نفسه كبر ، ولا ينازع طاعته عُجب ، فما من طاعة يؤديها المؤمن بإخلاص وصدق نية إلا وتدفع به إلى طاعة أخرى ، وعبادة أسمى ، فلا يزال يرتقى من عبادة إلى عبادة ، ومن طاعة إلى طاعة ، حتى يبلغ درجة الإحسان ، وهذا من علامات قبول الطاعة .

ولقد ذكر الحق سبحانه وتعالى أن أهل الإيمان الذين يسارعون في الخيرات يقفون مقام الخوف من عدم قبول العمل ، والرجاء والطمع في قبوله ونيل ثوابه ، قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ \* وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ \* أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ } ، يقول ابن كثير (رحمه الله) : "أَيُّ هُمْ مَعَ إِحْسَانِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحِ مُشْفِقُونَ مِنَ اللَّهِ ، خَائِفُونَ مِنْهُ ، وَجُلُونَ مِنْ تَبَدُّلِ حَالِهِمْ ، فَعَنْ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ } هُوَ الَّذِي يَسْرِقُ ، وَيَزْنِي ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ ، وَهُوَ يَخَافُ اللَّهَ؟ قَالَ : ( لَا يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ ، يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يُصَلِّي ، وَيَصُومُ ، وَيَتَصَدَّقُ ، وَهُوَ يَخَافُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ) ؟ .

فالمؤمن لا يهتم بكثرة العبادات والنوافل بقدر ما يهتم بقبول العمل من عدمه ، وبقدر ما ينعكس على حياته من هذه العبادات ، ولقد أمر الله تعالى نبيه (صلى الله

(٧)

عليه وسلم) بالسعي والاجتهاد في الطاعة ، فلا يستصغر عملا فيتركه ، ولا يستكثر عملا فيعجبه ، ولقد أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) بأن العُجب من المهلكات ومحبطات الأعمال ، فعن ابنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (الْمُهْلِكَاتُ ثَلَاثٌ : إِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ ، وَشُحُّ مُطَاعٍ ، وَهَوَى مُتَّبَعٍ).

**اللهم أعنا على ذكرك ، وشكرك ، وحسن عبادتك  
ووفقنا للاستقامة على طريق الطاعة والعبادة .**